

## الباب الخامس والأربعون: في بر الوالدين وذم العقوق وذكر الأولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقربات وذكر الأنساب وفيه فصول

### الفصل الأول: في بر الوالدين وذم العقوق

قال الله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ﴿فلا تقل لهما أف ولا تنهزهما وقل لهما قولاً كريماً \* واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾<sup>(٤)</sup> وعن علي رضي الله عنه: لو علم الله شيئاً في العقوق أدنى من أفٍ لحرمه، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة، وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار. وقيل: إن رضا الرب في رضا الوالدين، وسخط الرب في سخط الوالدين. وحكى أبو سهل عن أبي صالح، عن أبي نجيع، عن ربيعة، عن عبد الرحمن، عن عطاء بن أبي مسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حج عن والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة، وكتب له براءة من النار». وقال رسول الله ﷺ: «إياكم وعقوق الوالدين فإن ربح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام، ولا يجذ ربحها عاق». وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قَدَمَ أمه فأبطأ يوماً على إخوته فسألوه، فقال: كنت أتمرغ في رياض الجنة، فقد بلغنا أن الجنة تحت أقدام الأمهات. وبلغنا أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة. فكان آخر كلامه: يا رب أوصني. قال: أوصيك بأمر حسن قال له سبع مرات. قال: حسبي. ثم قال: يا موسى ألا إن رضاها رضاي وسخطها سخطي. وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه لابن مهران: لا تأتين أبواب السلاطين وإن أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر، ولا تخلون بامرأة، وإن علمتها سورة من القرآن، ولا تصحب عاقاً فإنه لن يقبلك وقد عق والديه. وقال فيلسوف: مَنْ عق والديه عقه ولده. وقال المأمون: لم أر أحداً أبر من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ من بره له أنه كان لا يتوضأ إلا بماء سخن فمنعهم السجان من الوقود في ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل إلى قمقم من نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح، فلم يزل قائماً وهو في يده إلى الصباح، حتى استيقظ يحيى من منامه. وقيل طلب بعضهم من ولده أن يسقيه ماء، فلما أتاه بالشربة نام أبوه، فما زال الولد واقفاً والشربة في

- (١) سورة: النساء، الآية: ٣٦.
- (٢) سورة: الإسراء، الآية: ٢٣.
- (٣) سورة: لقمان، الآية: ١٤.
- (٤) سورة: الإسراء، الآيات: ٢٣ - ٢٤.

يده إلى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه. وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: إن لي أما بلغ منها الكبر، أنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية، فهل أدت حقها، قال: لا لأنها كانت تصنع بك ذلك وهي تمنى بقاءك، وأنت تصنعه وتمنى فراقها. وقال ابن المنكدر: بت أكبس رجل أبي ويات آخر يصلي ولا يسرني ليلته بليتي. وقيل إن محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الأمير الذي لا يتتصف منه. وقيل لعلي بن الحسين رضي الله تعالى عنه: إنك من أبر الناس، ولا تأكل مع أمك في صحفة، فقال: أخاف أن تسبق يدي يدها إلى ما تسبق عينها إليّه فأكون قد عققتها.

## الفصل الثاني: في الأولاد وحقوقهم وذكر النجباء والأذكىاء والبلداء والأشقياء

قال رسول الله ﷺ: «الولد ريحانة من الجنة». وقال الفضل: ریح الولد من الجنة. وكان يقال: ابنك ريحانتك سبماً، ثم حاجبك سبماً، ثم عدو أو صديق. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، قال: قلت لسيدي رسول الله ﷺ: يا رسول الله هل يولد لأهل الجنة؟ قال: «والذي نفسي بيده، إن الرجل يشتهي أن يكون له ولد فيكون حمله ووضعه وشبابه الذي ينتهي إليه في ساعة واحدة». وقيل: من حق الولد على والده أن يوسع عليه حاله كي لا يفسق. وقال عمر رضي الله تعالى عنه: إني لأكره نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله مني نسمة تسبحه وتذكره. وقال رضي الله تعالى عنه: أكثروا من العيال فأنكم لا تدرن بمن ترزقون. وقال شبيب بن شبة: ذهب اللذات إلا من ثلاث: شم الصبيان، وملاقة الأخوان، والخلو مع النسوان. ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه تفاعه القلب. فقال: انبذها عنك فانهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء، ويورثن الضغائن. قال: لا تقل يا عمرو ذلك، فوالله ما مرض المرضى، ولا ندب الموتى، ولا أعان على الأخوان إلا هن. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين إنك حبيتهم إليّ. وقيل لرجل: أي ولدك أحب إليك؟ قال: صغيرهم حتى يكبر، ومريضهم حتى يبرأ، وغائبهم حتى يحضر. وقال ابن عامر لأمراته أمامة بنت الحكم الخزاعية: إن ولدت غلاماً فلك حكمك. فلما ولدت، قالت: حكمتي أن تطعم سبعة أيام كل يوم على ألف خوان، من فالودج، وأن تعلق بألف شاة. ففعل لها ذلك. وغضب معاوية على يزيد فهجره، فقال الأحنف: يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم سماء ظليلة، وأرض ذليلة، وبهم نصول على كل جليلة، فإن غضبوا فأرضهم، وإن سألوا فأعطهم، وإن لم يسألوا فابتدئهم، ولا تنظر إليهم شزراً<sup>(١)</sup> فيملوا حياتك، ويتمنوا وفاتك. فقال معاوية: يا غلام إذا رأيت يزيد فاقره السلام واحمل إليه مائتي ألف درهم، ومائتي ثوب. فقال يزيد: من عند أمير المؤمنين؟ فقيل له: الأحنف. فقال يزيد بن معاوية: عليّ به فقال: يا أبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة.

وحكى الكسائي أنه دخل على الرشيد يوماً فأمر بحضور الأمين والمأمون ولديّه، قال: فلم يلبث قليلاً أن أقبلت ككوكبي أفق يزنيهما هداهما، وقد غضا أبصارهما حتى وقفا في مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعوا له بأحسن الدعاء فاستدناهما وأسند محمداً عن يمينه، وعبد الله عن يساره، ثم امرني أن ألقى عليهما أبواباً من النحو فما سألتها شيئاً إلا أحسنا الجواب عنه، فسرّه ذلك سروراً عظيماً وقال: كيف تراهما؟ فقلت:

(١) شزراً: بمؤخرة العين على هيئة الغضبان.

أرى قمرِي أفقِي وفَرَعِي شَامَةَ  
سليكي أمير المؤمنين وحائزي  
يزيئهما عرق كريمةٍ ومحتدٌ  
مواريث ما أبقى النبي محمداً  
يزيئهما حزمٌ وسيفٌ مهتدٌ

ثم قلت: ما رأيت، أعز الله أمير المؤمنين، أحداً من أبناء الخلافة. ومعدن الرسالة، وأغصان هذه الشجرة الزلالية آدب منهما ألسناً، ولا أحسن ألفاظاً، ولا أشد اقتداراً على الكلام روية وحفظاً منهما، أسأل الله تعالى أن يزيد بهما الإسلام تأييداً وعزاً، ويدخل بهما على أهل الشرك ذلاً وقمعاً. وأمن<sup>(١)</sup> الرشيد على دعائه ثم ضمهما إليه وجمع عليهما يديه فلم يسطهما حتى رأيت الدموع تتحدر على صدره، ثم أمرهما بالخروج. وقال: كأنكم بهما وقد دهم القضاء، ونزلت مقادير السماء، وقد تشتت أمرهما، وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك الستور. وكان يقال: بنو أمية دن<sup>(٢)</sup> خل، أخرج الله منه زق عسل، يعني عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه. وسبب إعرابي ولده وذكر له حقه فقال: يا أبتاه إن عظيم حقد علي لا يبطل صغير حقي عليك. قال سيدي عبد العزيز الديرني رحمه الله تعالى:

أحبُّ بنيتي ووددتُ أنسي  
وما بي أن تهونَ عليّ لكن  
فإن زوَّجْتُها رجلاً فقيراً  
وإن زوَّجْتُها رجلاً غنياً  
سألتُ الله يأخذها قريباً  
دَفَنْتُ بَيْتِي فِي قَاعِ لِحْدِ<sup>(٣)</sup>  
مخافةً أن تذوقَ الذلَّ بعدي  
أراها عندَهُ والهَمُّ عندي  
فيلطمُ خدَّها ويسبُّ جدي  
ولو كانتُ أحبَّ الناسِ عندي

وقال هارون بن علي بن يحيى المنجم:

أرى ابني تشابَهَ من علي  
وإن يشبههما خلقاً وخلقاً  
ومن يحيى وذاك به خليقٌ  
فقد تسري إلى الشبه العروق

وقال أبو النصر مولى بني سليم:

ونفرحُ بالمولودِ من آل برمكٍ  
ولا سيما إن كانَ من ولدِ الفضلِ

وقال الحسن بن زيد العلوي:

قالوا عقيمٌ ولم يولد له ولدٌ  
فقلتُ مَنْ علقَتْ بالحربِ همُّهُ  
والمرءُ يخلفُهُ من بعده الولدُ  
عاف<sup>(٤)</sup> النساءُ ولم يكثر له عددُ

وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يرقص ولده يقول:

أزهراً من آل بني عتيق  
مباركٌ من ولد الصديق

(١) أمن الرشيد: قال أمين.

(٢) اللدن: وعاء.

(٣) اللحد: القبر.

(٤) عاف النساء: لم يقبل عليهن.

ألذه كما ألدُّ ريفي

وكانت أعرابية ترقص ولدها وتقول:

يا جبَّذا ريحُ السولذ      ريحُ الخزامى في البلد  
أهكذا كلُّ ولذ      أم لم يلد مثلِّي أحد

وكان أعرابي يرقص ولده ويقول:

أحبُّه حبَّ الشحيح ماله      قد ذاقَ طعامَ الفقرِ ثمَّ ناله  
إذا أرادَ بذلَّه بدالُه<sup>(١)</sup>

وكان لأعرابي امرأتان فولدت إحداهما جارية، والأخرى غلاماً فرقصته أمه يوماً. وقالت معايرة لضرتها:

الحمدُ لله الحميدِ العالِي      أنقذني العامَ من الجوالي<sup>(٢)</sup>  
من كلِّ شوءٍ كَشَنُّ بالِي      لا تدفعُ الضيمَ عن العيالِ

فسمعتها ضربتها فأقبلت ترقص ابتها وتقول:

وما عليَّ أن تكونَ جاريَّة      تغسلُ رأسي وتكونُ الفاليَّة<sup>(٣)</sup>  
وترفعُ الساقطَ من خماريَّة      حتى إذا ما بلغتُ ثمانيَّة  
أزرتُّها بنقبِ يمانِيَّة      أنكحْتُها مروانَ أو معاويَّة

أصهارُ صدق، ومهورُ غاليَّة

قال: فسمعتها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال، وقال: إن أمها حقيقة<sup>(٤)</sup> أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها. فقال معاوية: لولا مروان سبقنا إليها لأضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلوة، فبعث إليها بمائتي ألف درهم. والله أعلم.

ومما جاء في الأولاد البلداء القليلي التوفيق: قيل: نظر أعرابي إلى ولد له قبيح المنظر فقال له: يا بني إنك لست من زينة الحياة الدنيا. وقال رجل لولده وهو في المكتب: في أي سورة أنت؟ قال: لا أقسم بهذا البلد، ووالدي بلا ولد. فقال: لعمرى من كنت أنت ولده فهو بلا ولد. وأرسل رجل ولده يشتري له رشاء<sup>(٥)</sup> للبشر طوله عشرون ذراعاً، فوصل إلى نصف الطريق ثم رجع فقال: يا أبت عشرون في عرض كم؟ قال: في عرض مصيبي فيك يا بني. وكان لرجل من الأعراب ولد اسمه حمزة فبينما هو يمشي مع أبيه إذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله، فلم يجبه ذلك

(١) بدا له: أي بدا له بداء.

(٢) الجوالي: التطواف.

(٣) الفاليه: التي تفلّي الشعر، تنظفه.

(٤) حقيقة: جديرة.

(٥) الرشاء: الحبل يكون للبشر.

الشاب. فقال: ألا تسمع؟ فقال: يا عم كلنا عبيد الله فأبي عبد الله تعني؟ فالتفت أبو حمزة إليه وقال: يا حمزة ألا تنظر إلى بلاغة هذا الشاب؟ فلما كان من الغد إذا برجل ينادي شاباً: يا حمزة، فقال حمزة بن الأعرابي كلنا حماميز الله، فأبي حمزة تعني؟ فقال له أبوه: ليس يعينك يا من حمد الله به ذكر أبيه. وكان لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيم، فأرسله في حاجته فأبطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر إليه ثم قال:

عقلُهُ عقلُ طائرٍ وهو في خلقهِ الجمَل

فأجابه:

مشبهٌ بك يا أباي ليس لي عنك متقل

ونهى أعرابي ابنه عن شرب النبيذ فلم يته وقال:

أمن شربة من ماء كرم شربتها  
سأشربُ فاسخطُ لا رضيتُ كلاهما

غضبتُ عليّ الآن طابتُ لي الخمرُ  
حيبُ إلى قلبي، عقوقك<sup>(١)</sup> والسكرُ

وقيل: قال ذلك يزيد بن معاوية لأبيه حين نهاه عن شرب الخمر.

ومما جاء في صلة الرحم: قال رسول الله ﷺ: «صلة الرحم منجاة للولد مثراً للمال» وقيل: وجد حجر حين حفر إبراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية: أنا الله ذو بكة<sup>(٢)</sup> خلقت الرحم، وشققت لها أسماء من أسمائي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بته أي قطعته. وقال رسول الله ﷺ: «أعجل الخير ثواباً، صلة الرحم» وحدثنا أبو سهل عن صالح بن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب الأحبار أنه قال: والذي فلق البحر لموسى بن عمران إن في التوراة لمكتوب: يا ابن آدم اتق ربك، وبر والدك، وصل رجمك أزد في عمرك، وأيسر لك في يسيرك، وأصرف عنك عسيرك. وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب جلّ وعلا، وصلة الرحم تزيد في العمر» وذكر تمام الحديث.

### الفصل الثالث: في ذكر الأنساب، والأقارب، والعشيرة

قال عمر رضي الله عنه: تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم، ففصلوا بها أرحامكم. وقيل: لو لم يكن من معرفة الأنساب إلا اعتزازها من صولة الأعداء وتنازع الأكفاء<sup>(٣)</sup>، لكان تعلمها من أحزم الرأي، وأفضل الثواب، ألا ترى إلى قول قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا: «ولولا رهطك لرجمناك»<sup>(٤)</sup> فأبقوا عليه لهطه. وقال عمر رضي الله عنه: تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة، وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها. وسئل

(١) عقوقك: معصيتك.

(٢) ذو بكة: غلبة وشدة.

(٣) الأكفاء: الأنداد.

(٤) سورة: هود، الآية: ٩١.

عيسى عليه السلام: أي الناس أشرف؟ فقبض قبضتين من تراب وقال: أي هاتين أشرف؟ ثم جمعهما وطرحهما، وقال: الناس كلهم من تراب ﴿إِنْ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾<sup>(١)</sup>. كان أبو كبشة جد رسول الله ﷺ من قبل أمه، فلما خالف رسول الله ﷺ دين قريش قالوا: نزع عرق أبي كبشة، حيث خالفهم في عبادة الشعري. وقال خالد بن عبد الله القسري سألت واصل بن عطاء عن نسبه، ومن حفظه فقد حفظ نسبه، فقال نسي الإسلام الذي من ضيعه فقد ضيع نسبه، ومن حفظه فقد حفظ نسبه، فقال خالد: وجه عبد وكلام حر. ومن كلام علي كرم الله وجهه: أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير، فإنك بهم تصول، وبهم تطول وهم العدة عند الشدة أكرم كريمهم، وعد<sup>(٢)</sup> سقيمهم وأشركهم في أمورك، ويسر عن معسرهم. وكان يقال إذا كان لك قريب فلم تمش إليه برجلك، ولم تعطه من مالك فقد قطعته. ويقال حق الأقارب إعظام الأصغر للأكبر، وحنو الأكبر على الأصغر. قال رسول الله ﷺ: «حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على والده» قال بعضهم:

وإذا رزقت من النوافل ثروة      فامنح عشيرتك الأذى فضلها  
واعلم بأنك لا تسود فيهم      حتى ترى دم الخلائق سهلها

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) وعد: زر المريض.